الشرق والغرب يلتقيان

النعيم The Better Land

محادثة بين ولد وأمه

أسمعك تتحدثين عن النعيم يا أماه!
وتلقبين أطفاله بالأسرة السعيدة
أمى ! أين يوجد ذلك العالم النورانى ؟
وكيف السبيل إليه لنضمن السعادة ؟
أهو حيث أريج زهر البرتقال منتشر ؟
وحيث تتألق أجنحة اليراع على غصون الآس؟
« ليس هناك ، ليس هناك يا ولدى! »

***

أيوجد حيث تنمو أشجار النخيل ؟
وحيث تدنو رطبها تحت السماء المشرقة ؟
أيوجد فى أواسط الجزر الخضراء فى البحار المتدفقة ؟
وحيث يعطر عبير الغابات النسيم ؟
أيوجد حيث تحلق الطيور عالياً بأجنحتها ؟
وحيث تزهو بألوانها البديعة المتفرقة ؟
« ليس هناك ، ليس هناك يا ولدى! »

***

أيوجد فى الأماكن النائية الهرمة ؟
حيث منابع الأنهار التى تسيل على الرمال الذهبية ؟
وحيث تنعكس أشعة الشمس القانية فتنعش ؟
وحيث تسطع الأشعة الناصعة على الأطلال البالية ؟
أيوجد حيث تتجلى لمعات اللؤلؤ بين المرجان ؟

أيوجد هناك ذلك العالم الخير يا أمي العزيزة ؟

« ليس هنـاك ؛ ليس هنـاك ياولدى! »

***

فى ذلك العالم مالم تره العين ياولدى !
ومالم تسمع الأذن به من أغان عميقة عذبة ؛
ولا تستطيع الأحلام تصوير صفائه وعظمته ،
فهو عالم مسلوب فيه الأكدار والفناء ،
ونعيمه لايفنى ، ولذته لاتبلى...
هو بعيد وراء السحب ، وراء القبور ...

«آجل! يوجد هناك، يوجد هناك ياولدى!»

(By Felicia Hemans)

***

استرعى انتباهى عنوان هذه المنظومة النثرية، وهى مكتوبة نظماً بالإنجليزية ، فلما قرأتها وأتيت على آخرها ، خطر لى أن أنقلها إلى العربية نثراً ، وحبب إلى نشرها مالاحظت من تشابه فى التفكير الغربى الحديث والتفكير الشرقى القديم ؛ فقد رأيت ـ اتفاقاً ـ المقتطفات التى سأذكرها بعد فى رسالة لابن مسعود من كتاب « مجموعة الرسائل » للشافعى ، يقول فى وصف الجنة :

« إنها دار نعيم خالص ، لايشوبه شىء من الأكدار ولا الهموم ؛ فإنها دار روحانية ، وكل مافيها يعطى اللذة والراحة بطبعه »[1]. ويقول فى موضع آخر: « وصف الله تعالى الجنة فى كتابه العزيز بصفات عظيمة جليلة . وكذلك فى الأحاديث الواردة على لسان الأنبياء ، وأقول أنا فيها : إنها دار البقاء، ودار القرار، ودار الراحة، ودار الخلود، ودار النعيم ، ودار الرحمة الشاملة، ودار اللطف العام، ودار الإحسان الكامل، ودار الفيض المتوالى، ودار روحانية نورانية، مسلوب فيها سائر الأمراض والكدورات والظلمات ، قد تجلى الحق جل شأنه عليها بالجمال وكساها بالكمال ». ثم استطرد فقال : « فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر ببال بشر . نعيمها لا يفنى ، ولذتها لاتبلى [2] »

(١) مجموعة الرسائل للشافعى : رسالة ابن مسعود ص ٤٦٠

(٢) مجموعة الرسائل للشافعى : رسالة ابن مسعود ص ٤٧٥